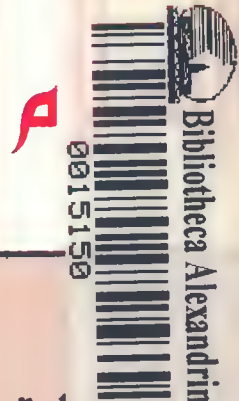


إعداد
حليتي علي شعبان



٦

العمدة



م
Bibliotheca Alexandrina
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ



سلسلة الأمانة الإسلامية

الهيئة العامة للكتاب - الإسكندرية	
297.64	رقم
س.ع.س	
٤٨٦٤٨	رقم المسحوق

٦

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ

إعداد
حليمي علي شعبان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص: ١١/٩٤٢٤ تل: ٤١٢٤٥ Le : Nasher
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

هذه السلسلة

بسم الله الرحمن الرحيم

«أعمدة الإسلام» سلسلة دينية تاريخية ثقافية. فيها أتناول سير شخصيات عظيمة في التاريخ الإسلامي ساهمت في توطيد دعائم الدين الحنيف وكان لها فضل في شرف السبق إلى الإسلام والاشتراك في ميادين الجهاد.

وهي مكتوبة بأسلوب قصصي مشوّق ومسندة بأحداث تاريخية مستقاة من مصادر أساسية في تكوين التاريخ الإسلامي.

ومهما كتب حول سير أولئك العظام، فإن كل جيل طالع من المسلمين بحاجة إلى معرفة تاريخه وكيفية انطلاق دينه في تلك السيرة المباركة التي قادها أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

أما سيرة رسول الله ﷺ. فقد أدرجت ضمن سلسلة «الأنبياء».

أسأل الله تعالى التوفيق.

وآمل أن تكون سيرة أبطالنا العظام خير معين لنا في حياتنا وحياة أولادنا وأحفادنا. فنكون خير خلف لخير سلف.
حلمي شعبان

سعد بن أبي وقاص

١ - اسمه

هو سعدُ بن أبي وقاص ، بن أُمَيَّب بن عبد مناف بن زهرة بن
كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة القرشيُّ الزُّهريُّ . يكنى أبا إسحاق .
وأُمُّه حمّة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وقيل
حمّة بنت أبي سفيان بن أمية .

٢ - شخصيته

كان سعد بن أبي وقاص شخصيةً فذةً قلَّما عَرَفَ
التاريخُ مثيلاً لها .

فقد مَنَحَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى ، مظهرًا رجولياً
قويًا، وروحاً صافيةً مؤمنة.

كَانَ غليظَ الجسم ، قصيرَ القامة ، ضخمَ الكتفين
أفطسَ الأنف ، غزيرَ الشعرِ جعده .

وإلى ذلك المظهر الرجوليّ القوي ، حَمَلَ في
صدره قلباً صافياً يدل على شفافية روحه ، ونُبْلٍ أَصْلِهِ ،
وَحَبٍّ لكلِّ الناس بلا حقدٍ ولا ضغينة .

ومنذُ وعيه وقبلَ أن يبايعَ رسولَ الله ﷺ ، لم يَكُنْ
يَميلُ إلى عبادة الأوثانِ ، وكثرة اللّهو شأنَ شباب قريش .
بل أَمْضَى معظمَ أيامِهِ يَبْرِي النبال ، ويحضرُ الأَقْوَاسَ ،
ويتمرّنُ على الرماية ، كَأَنَّهُ يحضّرُ نَفْسَهُ لِمُهَمَّاتٍ
عظيمة . . . حتى صارَ أعظمَ رامٍ في تاريخ الإسلام .

إسلامه

لم يَكُنْ سعدُ بن أبي وقاص كما أسلفنا ميالاً إلى
عبادة الأصنام والسجود للأوثانِ ، والأنصاب التي
يَصْنَعُهَا الإنسانُ بِنَفْسِهِ لا تنفع ولا تضر .

وما أن سَمِعَ بدعوة محمد بن عبد الله ، الرسول

الكريم إلى الدين الجديد . . دين العدل والحق . .
حتى هَفَا قلبه إليه وتَسَلَّلَ النورُ إلى روحه يضيء
جوارحه . فَقَصَّدَ النَّبِيُّ ﷺ ، وعلى يَدَيْهِ أَشْهَرَ إِسلامه .

فكانت فرحتهُ به صلواتُ الله عليه كبيرة . لأنَّ
سعداً كان من بيت عزيزٍ من بيوتِ مكة ، وفي إسلامه ما
يدفعُ غيره من أهلِ مكة للاقتداء به ، وتلبية دعوة الله
سبحانه وتعالى .

كما أنَّ سعداً كان شاباً يافعاً في السابعة عشرة من
عمره ، يَحْتَزِنُ رجولةً وقوةً قلَّ نظيرُهما .
وهو ثالثُ ثلاثةٍ من الرجال ، أو رابعُ أربعةٍ
أسلموا - فكان يفخرُ بذلك ويقول :

- « ما أسلمَ أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه .
ولقد مكثتُ سبعةَ أيام ، وإني لثُلثُ الإسلام سابعُ
سَبْعَةٍ » .

ولقد روى سعدٌ بنفسه قصةَ إسلامه ومنها نَتَبَّينُ أنَّ
الهدايةَ دَخَلَتْ قَلْبَهُ قبلَ أَنْ يُشْهَرَ إِسلامه .

وفي قِصَّةِ إسلامه يقولُ سعدُ بن أبي وقاص :
- « رأيتُ في المنام قبلَ أَنْ أُسْلِمَ بثلاثِ ليالٍ كأنِّي

غارقٌ في ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ . وبينما كنتُ
أَتَخَبَّطُ في لُجَجِهَا ، إذ أضاءَ لي قمرٌ فَاتَّبَعْتُهُ . فرأيتُ
نَفراً أمامي قد سبقوني إلى ذلك القمر

رأيتُ زَيْدَ بن حارثة . وعليَّ بن أبي طالب ، وأبا
بكر الصديق . فقلت لهم :

- منذ متى أنتم ها هنا .

فقالوا

- الساعة .

ثم إني لما طَلَعَ عليَّ النهارُ بلغني أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يدعو إلى الإسلامِ مُسْتَخْفِياً . فعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ
أَرَادَ بي خيراً ، وشَاءَ أَنَّ يُخْرِجَنِي بِسَبَبِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ .

فمَضَيْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعاً حَتَّى لَقِيْتُهُ فِي شَعْبِ جِيَاد^(١)
وقد صلى العصر . فأسَلَمْتُ فما تقدَّمَنِي سوى هؤلاء
النفر الذين رأيتهم » .

٤ - التجربة القاسية

ولم يمرَّ إسلامُ سعد بن أبي وقَّاص دون أن

(١) شعب جِيَاد : من شعاب مكة المكرمة وهو مكان فيها .

يُحَدِّثُ ضُجَّةً كَبِيرَةً فِي صَفُوفِ أَهْلِ مَكَّةَ . فَهَذَا الْفَتَى
الْأَعْرَ الْقَوِيُّ . ابْنُ الْحَسْبِ وَالنَّسَبِ ، يَتْرُكُ دِينَ آبَائِهِ
وَأَجْدَادِهِ ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْحَقِّ ؟ . .

كَيْفَ يَتَجَرَّأُ عَلَى ذَلِكَ ؟

وَعَظِيبُتِ والدُّنْهُ غَضَبًا شَدِيدًا وَحَزْنَتْ لِدَرَجَةِ أَنَّهَا
أَقْسَمَتْ أَلَّا تَذُوقَ الطَّعَامَ طَالَمَا سَعِدَ مُسْلِمٌ ؛ وَلَمْ يَرْجِعْ
عَنِ إِسْلَامِهِ .

وَكَانَتْ تِلْكَ الْأُمُّ تَعْرِفُ مَدَى شَفَافِيَةِ رُوحِ ابْنِهَا ،
وَمَدَى تَعَلُّقِهِ بِهَا وَحُبِّهِ لَهَا وَاحْتِرَامِهِ إِيَّاهَا . فَلَجَأَتْ إِلَى
تِلْكَ الْوَسِيلَةِ لِكَيْ تَثْنِيَهُ وَتَرُدَّهُ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ .

وَلَكِنَّهُ ثَبَّتَ فِي مَوْقِفِهِ ، وَتَعَلَّقَ بِإِيمَانِهِ ، وَعَرَفَ
قِيَمَةَ الدِّينِ الْجَدِيدِ الَّذِي أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . مُنْزَلًا
مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَنَفَّذَتْ أُمُّ سَعْدٍ قَسَمَهَا . . فَعَافَتْ الطَّعَامَ ،
وَرَفَضَتْ الشَّرَابَ ، وَانْزَوَتْ فِي غَضَبِهَا وَحُزْنِهَا .

وَطَالَ صِيَامُهَا حَتَّى شَارَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ . وَبَدَأَ
الْأَهْلُ يَمَارِسُونَ ضُغْطًا عَلَى الشَّابِّ الْمُؤْمِنِ . . الشَّابِّ
الَّذِي بَايَعَ الرَّسُولَ ﷺ . . وَلَنْ يَتَرَجَعَ عَنْ بَيْعَتِهِ تِلْكَ .

ووجد سعد بن أبي وقاص نفسه في دوامة هائلة
من الصراع النفسي . .
أمه من جهة . .

ودينه الجديد من جهة أخرى . .

ولم يصعب عليه أن يختار، لأنَّ النور الذي تسلَّل
إلى قلبه فتَحَّ بصْرُهُ وبصيرتُهُ على الحقيقة ورفض أن
يتراجع . . .

ولما اشتدَّ الضغطُ عليه من أجل أن يراها . .
وفي زعمهم أنَّه قد يرقُّ قلبه لحالها ويستجيب لطلبها . .
رضخَ لإلحاحهم .

وجاء إليها . . فإِلا من مشهد رائع مؤثر . .

لقد تقابل الإيمانُ الثابتُ في نفس سعد مع
الشركِ القابعِ في روح أمه . . وبينهما عاطفةُ الأمومةِ
الداويةِ الضعيفة .

وماذا كانت النتيجة؟

لنترك سعد بن أبي وقاص يصف لنا ذلك
الموقف، وتجربته القاسية في موقف لم يوضع به أحد
من الرجال قبله .

تال :

- «... ما ان سمعت أُمي بِخبرِ إسلامي حتى
ثارت ثائرتها وكنْتُ فتىً براً بها، محباً لها، فأقبلت عليّ
تقول :

- يا سعد... ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك
عن دين أمك وأبيك.. والله لندعن دينك الجديد أو لا
أكل ولا أشرب حتى أموت... فينظر فؤادك حزناً
عليّ، ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلت. ويُعيرك
الناسُ أبد الدهر.

فقلت :

لا تفعلي يا أماء. فأنا لا أدع ديني لأي شيء.
لكنها مضت في وعيدها فاجتنبت الطعام
والشراب، ومكثت أياماً على ذلك لا تأكل ولا تشرب،
فهزل جسمها، ووهن عظمها، وخارت قواها.
فجعلت آتيها ساعة بعد ساعة أسألها أن تبليغ
بشيء من طعام أو قليل من شراب، فتأبى ذلك أشدَّ
الإباء، وتقسّم ألا تأكل أو تشرب حتى تموت أو أدع
ديني.

وعند ذلك قلت لها :

- يا أماء . . إني على شديد حبي لك لأشدُّ حباً
للَّهِ ورسوله . . . وواللَّهِ لو كانَ لكِ أَلْفُ نَفْسٍ فَخَرَجْتُ
مِنكَ نَفْساً بَعْدَ نَفْسٍ ما تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ .
فلما رأت الجدَّ مني أذعنَت للأمرِ وأكَلت وشَرِبَت
على كُرِّهِ منها . . . » .

وكرَّم اللّهُ سبحانه وتعالى سعبداً لموقفِهِ ذلك .
وأنزلَ فيه وفي أهله آيةً يقولُ فيها .

﴿وإن جاهدك على أن تُشرك بي ما ليس لك به
علمٌ، فلا تُطغهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً . وأتبع
سبيل من أناب إليّ، ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم
تعملون﴾ .

وتأثّر بعضُ شبابِ مكّةَ وفتيانها بإسلامِ سعد .
فاندفعوا يُشْهرون إسلامهم بِصدّقٍ وحماسٍ .

ولعلَّ قصةَ عمير بن أبي وقاص، شقيقِ سعد،
يومَ بدر، خيرُ دليلٍ على قوّةِ إيمانِ المسلمين الأوائل
ومدى تعلّقهم برسالةِ النبي ﷺ .

ففي يوم بدر استعدَّ المسلمون للقاءِ كفارِ قريش
ومشركيهم . وتمَّ الاستنفارُ في جميعِ الصفوف . فقريش
بكلِ جبابرِتها وسادّتها وعظمائها استعدّت للمعركة .

والمسلمون وعلى رأسهم رسول الله ﷺ تجندوا
للمعركة بسلاح الإسلام واندفاع الإيمان، ووهب
النفس حتى التضحية والشهادة في سبيل الله جلّ وعلا.
وكان من عادة الرسول الأعظم أن يتفقد
المسلمين قبل المعركة في عرضٍ أخيرٍ ليزودهم
بالنصح والإرشاد والملاحظات.

وكان عمير بن أبي وقاص شقيق سعد صغير السن
لا يكاد يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، يقف بين
صفوف المسلمين. وعندما شاهد رسول الله ﷺ مقبلاً
يعرض المجاهدين توارى خشيّة أن يردّه الرسول
صلوات الله عليه وسلامه عن المعركة لصغر سنه. لكنّ
الرسول الكريم أبصره فاستدعاه ثم طلب إليه العودة
وعدم الاشتراك بالقتال.

فصعّب على الفتى المؤمن أن يحرم شرف
الجهاد في سبيل الله، ولو كان صغير السن. فأخذ
يبكي ويتوسّل حتى رُقّ له قلب الرسول ﷺ فأذن له
بالجهاد.

وفرّح عمير بذلك فرحاً عظيماً، وشاركه فرحته
الكبرى شقيقه سعد الذي وضع عليه بعض سلاحه

يَحْمِلُهُ لَهُ لِأَنَّهُ صَغِيرُ السِّنِّ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ اسْتِعْمَالَهُ .
وَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ وَمَعَهُمُ الشَّقِيقَانِ سَعْدٌ وَعَمِيرٌ لِقِتَالِ
الْمَشْرِكِينَ .

وَاحْتَدَمَتِ الْمَعْرَكَةُ وَنَصَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
الْمُسْلِمِينَ نَصْرًا مُبِينًا . وَلَحِقَتْ بِقُرَيْشٍ وَمَشْرِكِيهَا هَزِيمَةٌ
قَاسِيَةٌ . . .

وَعِنْدَمَا انْجَلَى غَبَارُ الْمَعْرَكَةِ كَانَ عَمِيرٌ بَيْنَ شُهَدَاءِ
الْمُسْلِمِينَ فَعَادَ سَعْدٌ وَحْدَهُ بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ شَقِيقَهُ الصَّغِيرَ
عَمِيرَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ يَنْعُمُ بِشَهَادَتِهِ عَلَى أَرْضِ بَدْرٍ .

٦ - خَالِ الرَّسُولِ

بَلَغَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي نَفْسِ الرَّسُولِ ﷺ
مَنْزِلَةً عَظِيمَةً . وَهُوَ يَرْتَبِطُ بِهِ بِرِبَاطَيْنِ أُسَاسِيَيْنِ :

رِبَاطُ الدِّينِ وَهُوَ أَقْوَى رِبَاطٍ يَشُدُّ إِنْسَانًا نَحْوَ
إِنْسَانٍ . فَقَدْ نَطَقَ سَعْدٌ بِالشَّهَادَةِ ، وَأَمَّنَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَبِصَدْقِ الرَّسُولِ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ . وَبِأَيْعِهِ
بِيعَةً لَمْ يَرَوْا التَّارِيخُ أَوْثَقَ مِنْهَا .

وَرِبَاطُ عَائِلِي زَادَ الصِّلَةَ تِمَاسِكًا وَتَقَارِبًا

وإخلاصاً، فجدُّ سعد بن أبي وقاص وهو أهيَّب بن
مناف كان عمَّ السيدة آمنَةَ بنتِ وهب أمِ رسولِ
الله ﷺ.

وكم كان النبيُّ الكريمُ يفرِّحُ لتلك الصلة.
ورُوِيَ عنه أَنَّهُ كان بين نفرٍ من الصحابة عندما
أَقْدَمَ عليه سعد فحيَّاه وداعبه قائلاً.

- هذا خالي . . فليُرني امرؤُ خالَه .

وفي ذلك القول الكريم ما يدلُّ على اعتزازِ
الرسولِ بسعد وبشدة حبه له وتقريبه إياه من نفسه .

ولم يكن سعد بعيداً عن النبيِّ الكريم أبداً . فهو
دائمُ الحضورِ بينَ يديه ، ملازمٌ له واضعٌ نفسه في
خدمته وخدمة دينِ الله الواحد الأحد .

ولقد روى عبدُ الله بن عامر عن لسانِ السيدة
عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أَنَّها قالت :

- « بات رسولُ الله أرقاً ذاتَ ليلةٍ . فقال :

يا ليتَ رجلاً صالحاً يحرسُنِي الليلة .

قالت :

- إذ سَمِعْتُ صوتَ السلاح فقال :

- من هذا؟

قال:

- أنا سعد بن أبي وقاص. أنا أحرصك يا رسول الله.

قالت:

- فنام رسول الله حتى سمعت غطيته^(١).

ولقد بشره الرسول ﷺ بالجنة لشدة صلاحه،
وطهر نفسه، وعمق إيمانه.

فقد كان بعض المسلمين يجلسون عند رسول
الله ﷺ فقال:

يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة.
فإذا سعد بن أبي وقاص يدخل.

فيا لسعادة سعد بتلك البشري ويا لهنائه لتلك
المنزلة الكبيرة التي بلغها في نفس رسول الله ﷺ وفي
الإسلام.

٧ - فداك أبي وأمي

ومواقف سعد البطولية يصعب حصرها ووصف

(١) الغطيط: الصوت الذي يصدره النائم عندما يكون نومه عميقاً.

فصولها لكثرتها وسموها . فهي تنبعث من نفسٍ صافيةٍ
مؤمنة لا يُعكرها شك ولا يُفسدها ظن .

فهو بطلٌ من أبطال المسلمين الذين ثَبَتُوا لنصرة
الدين الحنيف في كل المواقف الصعبة القاسية .

وفي يوم أُحُدَ برزت تلك البطولة فظَهَرَتْ قُوَّةُ
الإيمان ، وعَلِمَ الناسُ من هوسعدٍ بالنسبة
للرسول ﷺ .

ففي يومٍ أُحْدَ حَشَدَتْ قريش جيشاً ضخماً
للتخلّص من النبي محمد بن عبد الله ﷺ ، وثأراً ليوم
بدر الذي ذاقَتْ فيه هزيمة لن تنسى طعمها .

وتصدّى لهم المسلمون وعلى رأسهم الرسول
الكريم يُدافعون عن عقيدتهم ودين الحق .

والتقى الفريقان . وعلا الغبارُ يَغطِّي المكان .
والفرسانُ يتحركون ويتقاتلون مثلَ أشباح ، وزاد الصُخبُ
من صراخ الرجال واصطدام السلاح بالسلاح . وبدأ أن
النصر سيكون حليف المسلمين .

ولكنَّ فريقاً منهم خالف تعليمات
رسول الله ﷺ ، وتركوا مواقعهم قبلَ نهاية المعركة .
فالتفَّ عليهم خالدُ بن الوليد - الذي كان في صفوفِ

المشركين آنذاك - واتَّجه مسارُ المعركة ضدَّ المسلمين .

واشتدَّ الكربُ عليهم وحوَّصِرَ الرسولُ الكريمُ وأُصيب في جبينه الطاهر وكُسِرَتْ أسنانه . وجُرِحَتْ وجنته . واضطَّرب المسلمون وهم يَعْتَقِدُونَ أَنَّ النَّبِيَّ قد مات .

وهنا التَفَّ حَوْلَ الرسول عشرةُ أبطالٍ مخلصين له ولدينه الحنيف يَفْدُونُهُ بأجسادِهِم ويدافعون عنه بأرواحهم ومن بينهم سعد بن أبي وقاص .

وشاهدَهُ الرسول ﷺ فقال يحثُّه على القتال :

- « ارم سعد . . فداك أبي وأمي » .

فكان ذلك مبعثَ فخرٍ في نفسِ سعد ، فهو الذي فداه الرسولُ الكريمُ بوالدَيه ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

- « ما سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَفْدِي أَحَدًا بِأَبَوَيْهِ إِلَّا سَعْدًا . فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ يَقُولُ :

- « ارم سعد فداك أبي وأمي » .

كما كان سعد يُرَدِّدُ باعتزاز :

- «والله إني لأؤلُّ رجلٍ من العرب رمى بسهمٍ
في سبيل الله» .

٨ - سلاحان

وإذا كان سعد بن أبي وقاص ذا رمية صائبة
برمحه وسهمه فقد اشتهر أيضاً بدعوته المستجابة .
ولذا فهو يملك سلاحين وظفهما في سبيل الله
سبحانه وتعالى ، وفي الدعوة إلى الدين الحنيف . . .
سهمه ودعائه .

ففي مطلع صباه انصرف عن اللهو إلى برّ
النبال وإصلاح القسي ، والخروج إلى البادية يتعلّم فنّ
الرماية . فكان من أبرع الرامين وأمهر النبّالين .
أما سلاحه الآخر وهو سرعة استجابة دعائه فله
قصص كثيرة رائعة .

ومن ذلك ما رواه عامر بن سعيد فقال :
- رأى سعد رجلًا يسبُّ علياً وطلحة والزبير . فنهاه
فلم ينته . فقال له :
- إذن أدعو عليك . .

فقال الرجل :

- أراك تتَهَدَّدُني كأنك نبي .

فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه

وقال :

- اللهم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَّ قَوْمًا

سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى ، وَأَنَّهُ قَدْ اسْخَطَكَ سَبُّهُ

إِيَّاهُمْ . فَاجْعَلْهُ آيَةً وَعِبْرَةً .

فلم يَمْضِ وَقْتُ قَصِيرٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ

إِحْدَى الدُّوَرِ نَاقَةٌ نَادَّةٌ (١) لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى دَخَلَتْ فِي

زِحَامِ النَّاسِ - كَأَنَّهَا تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ - ثُمَّ اقْتَحَمَتْ

الرَّجُلَ فَأَخَذَتْهُ بَيْنَ قَوَائِمِهَا وَمَا زَالَتْ تَتَخَبَّطُهُ حَتَّى

مَاتَ .»

هذه القصة تدل دلالة واضحة على مدى عمق

الإيمان في نفس سعد بن أبي وقاص وطهارة روحه

الشفافة النبيلة .

وهذه الميزة التي خصَّ بها الله سبحانه وتعالى

جاءت نتيجة دعاء رسول الله ﷺ له لكثرة حبِّه إياه .

ذلك أَنَّ سعد بن أبي وقاص مَرِضٌ أَثْنَاءَ حُجَّةِ

(١) نَادَّةٌ : نافرة وشاردة .

الوداع . فجاءهُ الرسولُ يعودهُ^(١) . فمسح على جبينه وقال :

- «اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الْبَاسَ، إِلَهَ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ . أَنْتَ الشَّافِي لَا شَافِيَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ . بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ . اللَّهُمَّ أَصِحْ قَلْبَهُ وَجِسْمَهُ . وَاكْشِفْ سَقَمَهُ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ» .

كما قال النبيُّ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه في موضعٍ آخر :

- «اللهم سَدِّدْ سَهْمَهُ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ، وَحَبِّبْهُ إِلَى عِبَادِكَ» .

٩ - حب العطاء

ولقد عاشَ سعدُ بن أبي وقَّاص زَمناً طويلاً حتى قَارَبَ الثمانينَ عاماً . وَجَمَعَ خِلالَ حَيَاتِهِ الحافلةَ مَالاً كثيراً . كله عن طريق الحلال . ولم يَكُنْ يَبْخُلُ بِمَالِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحْتَاجِينَ .

(١) يعودهُ : يزوره أثناء مرضه .

فهو دائماً البذل والعطاء . وكلما تصدَّق زاد الله تعالى في رزقه .

وفي عام حجة الوداع ، عندما مَرِضَ سعدٌ وكان أباً لابنةٍ واحدةٍ ، جاءهُ الرسولُ ﷺ عائداً كما سبق وذكرنا . ويروي سعد أنه سأله قائلاً :

- يا رسولَ الله إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة
أفأَتَصَدَّقُ بثلثي مالي ؟ .

قال النبي :

- لا .

قلتُ :

- النصف ؟

قال النبي

- لا

- قلت :

- فبُثلثه ؟

قال النبي :

- نعم والثلثُ كثير . إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ
خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ . وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً

تَبَغْيِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا. حَتَّى اللَّقْمَةَ تَضَعُهَا
فِي فَمِ امْرَأَتِكَ».

وبعد ذلك رُزِقَ سعد بأبناء كثيرين وظلَّ على ما
هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّهِ لِلْعَطَاءِ وَلِلتَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ
وَالْمُحْتَاجِينَ.

١٠ - الأسد في برائه

واستمر سعد يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيَّامَ الرِّسُولِ
وَأَيَّامِ عَمْرِ.

ظَلَّتْ أَيَّامُهُ صَفْحَاتٍ بِيضَاءٍ فِي تَارِيخِ الْفَتْوحَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ. وَيَنْدُرُ أَنْ تَحْدُثَ مَوْقِعَةٌ أَوْ مَعْرَكَةٌ إِلَّا وَيَكُونُ
سَعْدُ الْفَارِسِ الْمُجَلِّي.

عَلَى أَنَّ عَظَمَتَهُ التَّارِيخِيَّةَ وَعَبَقْرِيَّتَهُ الْحَرْبِيَّةَ عُرِفَتَا
يَوْمَ قَرَّرَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَضَعَ
حَدًّا لِعُذْرِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَنَقَضِهِمْ مَوَاقِفَهُمْ، وَقِيَامِ الْفُرْسِ
بِهَجْمَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تُلْحِقُ بِهِمْ أَفْدَحَ
الْخَسَائِرِ فِي الْأَرْوَاحِ، وَأَبْلَغَ الْأَضْرَارِ فِي الْعَتَادِ.

لِلَّذَلِكَ صَمَّمِ الْخَلِيفَةُ الْفَارُوقُ عَلَى خَوْضِ مَعْرَكَةٍ

فاصلة يُنهى فيها ذلك الوَضْعَ القلق، وَيَقْضِي على نفوذ
الفرسِ نهائياً.

ونَادَى بالمسلمين في صلاةٍ جامعةٍ . . . للشورى،
وبعدَ أَنْ عَرَضَ لَهُمُ الوَضْعَ، أَخَذُوا يَسْتَعْرِضُونَ أَسْمَاءَ
الرجال الذين يَصْلُحُونَ لتلك المهمة الجسيمة . . مهمة
قيادة جيشِ المسلمين، وتوجيهه نحو فارس ليُحرِرَ
النصر.

وصاح عبد الرحمن بن عوف:
- قد وجدته.

قال عمر:

- فمن هو؟

قال عبد الرحمن:

- الأسدُ في برائثه. سعدُ بن مالك الزهري.
سعد بن أبي وقاص.

وأَيَّدَ جميعُ الحاضرين ذلك الاقتراح، واستَدْعاهُ
الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عنه وولاهُ إمارةَ
العراق وقيادة الجيش الإسلامي.

وعندما جاء يودِّعُهُ خاطَبَهُ الفاروق بكلماتٍ هي
الإيمانُ السَّاكُنُ في النفوس. قال له:

- «يا سعد بن وهيب» .

لَا يَغُرَّنْكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ: خَالَ رَسُولَ اللَّهِ
وَصَاحِبُهُ . فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا بِطَاعَتِهِ .
وَالنَّاسُ شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ .

اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ ،
وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ . فَانْظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، مِنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا عَلَيْهِ ، فَالزَّمَهُ
فَإِنَّهُ الْأَمْرُ » .

١١ - نحو فارس

وتولَّى سعد بن أبي وقاص ولاية العراق وإمارة
الجيش . وسارَ بالمسلمينَ هناك من نصرٍ إلى نصر .
وبدأت الفتوحات تتوالى ، وتتسع رقعة دولة الإسلام .
وسعد يُرْسَلُ إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الكُتُبَ يَشْرَحُ فيها أحواله وأحوال المسلمين ،
ويَصِفُ لَهُ الوضعَ من كل جوانبه .

وقد رأى سعد بناءً على نصيحة الخليفة أن يدعوا
رستم ، قائد جيوش كسرى ، إلى الإسلام ، ولكنه لم
يُكَلِّبِ الدعوة .

فكان لا بدّ من المعركة .

وبعد مناوشاتٍ متعدّدة، تقرّرت المعركة في القادسية .

ومرّض سعد بن أبي وقاص في بداية المعركة . ولم يكن باستطاعته أن يخوض غمارها لأنّ القروح والداميل ملأت جسمه . فجعل الدار التي يُقيم فيها مركز قيادته .

ووقف سعد يخطبُ في المسلمين، يحثُّهم على الجهاد . ثم صلّى صلاة الظهر . وبعد ذلك أعطى أمره بالهجوم مكبراً أربع تكبيرات :

«الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . .» .

ثم جلس في شُرْفَةِ دارِهِ يرقُب سَيْرَ المعركة ويوجِّهها متحاملاً على آلامه وقروحه .

والتحم الجيشان . وبدأت سيوفُ المسلمين تعملُ في جيش كسرى تفتيلاً وتمزيقاً وتقطيعاً . . تقتلُ الكُفْر وتَمَرِّقُ الوثنية في عَبدَةِ النار .

وكانت أعظمُ هديّةٍ تُقدِّمُ لسعد بن أبي وقاص في تلك المعركة : رأس رستم قائِد جيوش الفرس محمولاً

على رِمَاحِ المسلمين .

وبعدَ القادسيّة استمرَّ الزَّحْفُ المَبَارَكُ نحو
نهاوند . ثم نحو المدائن لِإِسْقَاطِ تاجِ كسرى . وقد غَنِمَ
المسلمون غنائمَ لا تُعَدُّ ولا تُحصى .

وبعد ذلك تَوَلَّى العراقَ فَبَنَى الكوفةَ وَثَبَّتَ قواعِدَ
الإسلامِ في تلكَ الديارِ الواسعة .

١٢ - الفتنة الكبرى

وعندما وقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين بعد
مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . . بين
الخليفة الجديد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ،
وبين معاوية بن أبي سفيان والي الشام ، حَزَنَ سعدُ بن
أبي وقاص حزنًا شديدًا ، فَأَنزَوَى يَرْقُبُ ما يَجْري بقلبِ
كسير ، وعيونٍ تفيضُ بالدمع ، وهو يَجِدُ نفسَه عاجزاً عن
إيقافها .

فاعتزلَ الناسَ ، وأقامَ بينَ إبلِهِ يَتَأَمَّلُ وَيَسْتَغْفِرُ
الله .

وعَزَّ على ابنه عمر أن يَراه منزوياً وهو البطلُ

الذي فَتَحَ بلادَ فارس، وحَارَبَ مع الرسول ﷺ في جميع المعارك. ووجَدَهُ أَحَقَّ بالخلافة من المتقاتلين لأن الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عنه اختارَهُ مع الستّة المقترحين لخلافَتِهِ فقال لأبيه سعد:

- «الناس يتنازعون الإمارة وأنت ها هنا؟

فقال سعد:

- «يا بني. إني سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول:

- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْغَنِيِّ الْخَفِيَّ التَّقِيَّ».

وظل سعد في نَظَرِ قَسَمٍ كبير من المسلمين الرَّجُلَ الْمُنَاسِبَ لتولِّي الخلافة، وحَسَمَ النزاع، والقضاء على الفتنة الكبرى.

وعندما جاءَهُ ابنُ أخيه هاشم بن عُثْبَةَ بن أبي وقاص يقول له:

- يا عم. ها هنا مائةُ ألف سيف، يَرَوْنَكَ أَحَقَّ الناس بهذا الأمر.

فيجيبه سعد:

- أريد من مائة ألف سيفاً واحداً إذا ضربتُ به المؤمن لم يَصْنَعْ شيئاً، وإذا ضَرَبْتُ به الكافر قَطَعَ».

وهكذا نَعْلَم من كَانَ سعد بن أبي وقاص من
خلالِ تلك الإجابة.. زُهِدُ في المناصب... وَجُرُصُ
على المسلمين.. وَحُبُّ لَدِينِ اللَّهِ.. وَرَفُصُ لِقَتَالِ
مُسْلِمٍ مع مسلم.

١٣ - موت سعد

وعاش سعد بن أبي وقاص طويلاً، وَرَزَقَهُ اللَّهُ
مالاً كثيراً وما كَانَ كُلُّ ذَلِكَ لِيَفْتِنَهُ عَنْ دِينِهِ وَيُنْسِيَهُ وَرَعَهُ
وَتَقَاهُ.

وعندما أَزْفَتْ سَاعَةُ الْمَوْتِ وَقَدْ جَاوَزَ سعد
الْثَمَانِينَ مِنَ الْعُمْرِ، كَانَ فِي دَارِهِ فِي الْعَقِيقِ بِالْمَدِينَةِ
الْمَنُورَةِ، وَأَحَبَّ أَنْ يَلْقَى رَبَّهُ وَهُوَ يَحْمِلُ أَجْمَلَ
ذِكْرَى..

ذَكَرَى تَجْمَعُ الْوَرَعَ وَالْجِهَادَ وَالْإِيمَانَ..

فأَشَارَ إِلَى خِزَانَةٍ لِيَفْتَحُوهَا.. وَلَمَّا فَتَحُوهَا وَجَدُوا
جُبَّةً قَدِيمَةً قَدْ بَلَيْتْ وَتَقَطَّعَتْ. وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُكْفِنُوهُ فِيهَا
وَقَالَ :

- «لَقَدْ لَقِيتُ الْمَشْرِكِينَ فِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ. وَلَقَدْ

ادَّخَرْتُهَا لهذا اليوم . وأريد أن أُلْقَى بها الله عزَّ وجلَّ .

* * *

وانطوى علمٌ من أعلام الإسلام . وعادَ إلى الرفيق
الأعلى بطلٌ من أبطال الجهاد كانَ عموداً ثابتاً من
الأعمدة التي قامَ عليها صرْحُ الإسلامِ العظيم . .
ودُفِنَ في المدينة المنورة في البقيع مقرَّ شهداءِ
أُحُدِ الأبرار .

المصادر والمراجع

- ١ - السيرة النبوية ابن هشام
- ٢ - البداية والنهاية ابن كثير
- ٣ - صحيح البخاري البخاري
- ٤ - أسد الغابة ابن الأثير
- ٥ - رجال حول الرسول خالد محمد خالد
- ٦ - القادسية أحمد عادل كمال
- ٧ - الطريق إلى المدائن أحمد عادل كمال
- ٨ - سقوط المدائن أحمد عادل كمال

الفهرس

- ١ - اسمه ٥
- ٢ - شخصيته ٥
- ٣ - اسلامه ٦
- ٤ - التجربة القاسية ٨
- ٥ - عمير شقيق سعد ١٣
- ٦ - خال الرسول ١٤
- ٧ - فداك أبي وأمي ١٦
- ٨ - سلاحان ١٩
- ٩ - حب العطاء ٢١
- ١٠ - الأسد في برائته ٢٣
- ١١ - نحو فارس ٢٥
- ١٢ - الفتنة الكبرى ٢٧
- ١٣ - وفاته ٢٩

سلسلة الأئمة والأعلام

- ١ - أبو بكر الصديق .
- ٢ - عمر بن الخطاب .
- ٣ - عثمان بن عفان .
- ٤ - علي بن أبي طالب .
- ٥ - عمر بن عبد العزيز .
- ٦ - سعد بن أبي وقاص .
- ٧ - طلحة بن عبيد الله .
- ٨ - الزبير بن العوام .
- ٩ - أبو عبيدة عامر بن الجراح .
- ١٠ - عبد الرحمن بن عوف .
- ١١ - سعيد بن زيد .
- ١٢ - حمزة بن عبد المطلب .
- ١٣ - زيد بن حارثة .
- ١٤ - سالم مولى أبي حذيفة .
- ١٥ - عبد الله بن جحش .
- ١٦ - عتبة بن غزوان .
- ١٧ - عبد الله بن مسعود .
- ١٨ - المقداد بن عمرو .
- ١٩ - خباب بن الأرت .
- ٢٠ - صهيب بن سنان الرومي .
- ٢١ - بلال بن رباح الحبشي .
- ٢٢ - عمار بن ياسر .
- ٢٣ - زيد بن الخطاب .
- ٢٤ - عثمان بن مظعون .
- ٢٥ - أبو سبرة بن أبي رهم الأسلمي .
- ٢٦ - سعد بن معاذ .
- ٢٧ - عباد بن بشر .
- ٢٨ - محمد بن مسلمة .
- ٢٩ - عاصم بن ثابت .
- ٣٠ - خالد بن زيد .
- ٣١ - أبي بن كعب .
- ٣٢ - عبد الله بن رواحة .
- ٣٣ - بشير بن سعد .
- ٣٤ - عباد بن الصامت .
- ٣٥ - معاذ بن جبل .
- ٣٦ - أسيد بن حضير .
- ٣٧ - العباس بن عبد المطلب .
- ٣٨ - جعفر بن أبي طالب .
- ٣٩ - أبو سفيان بن الحارث .
- ٤٠ - أسامة بن زيد .
- ٤١ - سلمان الفارسي .
- ٤٢ - خالد بن سعيد بن العاص .
- ٤٣ - أبو موسى الأشعري .
- ٤٤ - شرحبيل ابن حسنة .
- ٤٥ - عبد الله بن عمر بن الخطاب .
- ٤٦ - عبد الله بن حذافة .
- ٤٧ - عمير بن وهب الجمحي .
- ٤٨ - أبو ذر الغفاري .
- ٤٩ - الطفيل بن عمرو .
- ٥٠ - خالد بن الوليد .
- ٥١ - عمرو بن العاص .
- ٥٢ - سعيد بن عامر الجمحي .
- ٥٣ - نعيم بن مسعود .
- ٥٤ - المغيرة بن شعبة .
- ٥٥ - سلمة بن الأكوع .
- ٥٦ - أبو هريرة الدوسي .
- ٥٧ - حذيفة بن اليمان .
- ٥٨ - البراء بن مالك .
- ٥٩ - عبد الله بن سلام .
- ٦٠ - سمالك بن خرشة .
- ٦١ - عياض بن غنم .
- ٦٢ - عمرو بن الجموح .
- ٦٣ - عمير بن سعد .
- ٦٤ - غالب بن عبد الله .
- ٦٥ - فرات بن حيّان .
- ٦٦ - القعقاع بن عمرو .
- ٦٧ - يزيد بن أبي سفيان .
- ٦٨ - عكرمة بن أبي جهل .
- ٦٩ - حكيم بن حزام .
- ٧٠ - حبيب بن عدي .
- ٧١ - الربيع بن زياد .
- ٧٢ - سراقه بن مالك .
- ٧٣ - عبد الله بن الزبير .
- ٧٤ - أبو العاص بن الربيع .
- ٧٥ - زيد بن سهل .
- ٧٦ - عبد الرحمن بن أبي بكر .
- ٧٧ - مصعب بن عمير .
- ٧٨ - عبد الله بن العباس .
- ٧٩ - عدي بن حاتم .
- ٨٠ - زيد بن ثابت الأنصاري .
- ٨١ - حبيب بن زيد .
- ٨٢ - ثمامة بن أثال .
- ٨٣ - ثابت بن قيس .
- ٨٤ - أنس بن مالك .
- ٨٥ - سهيل بن عمرو .
- ٨٦ - ضرار بن الأزور .
- ٨٧ - عبد الله بن عمرو بن حر .
- ٨٨ - عمرو بن معديكرب .
- ٨٩ - المثني بن حارثة .
- ٩٠ - النعمان بن مقرن .
- ٩١ - عويمر بن مالك (أبو الد)
- ٩٢ - جرير بن عبد الله البجلي .
- ٩٣ - سعد بن عباد .
- ٩٤ - مجزأة بن ثور .
- ٩٥ - الأقرع بن حابس .